عاقل ولا يؤثرها كيس وليعلم ان المتقرب بالمدح يسرف مع القبول ويكف
مع الاباء فلا يغلبه حسن الظن على تصديق مدح هو اعرف بحقيقته ولتكن تهمة
المادح اغلب عليه فقل مدح كان جميعه صدقا وقل ثنا كان كله حقا ولذلك
كره اهل الفضل ان يطلقوا السنتهم بالثنا والمدح تحرزا من التجوز فيه وتنزها
عن التملق به وقد روي عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تكونوا عيابين ولا تكونوا لعانين ولا متمادحين ولا متماوتين وحكي الاصمعي
ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه كان اذا مدح قال اللهم انت اعلم بي من نفسي وانا
اعلم بنفسي منهم اللهم اجعلني خيرا مما يحسبون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تواخذني
بما يقولون وقال الشاعر اذا المرء لم يمدحه حسن فعاله فمادحه يهذي وان كان مفصحا
وربما آل الحث المدح بصاحبه الى ان يصير مادح نفسه اما لتوهمه
ان الناس قد غفلوا عن فضله واخلوا بحقه واما ليخدعهم بتدليس نفسه بالمدح
والاطرا فيعتقدون ان قوله حق متبع وصدق مستمع واما ليتلذذ بسماع
الثنا ويسر نفسه بالمدح والاطرا كما يتغنى لنفسه طربا اذا لم يسمع صوتا مطربا
ولا غنا ممتعا ولاجل ذلك كان هو الجهل الصريح والنقص الفاضح قال بعض الشعرا

وما حسن ان يمدح المرء نفسه ... ولكن اعمالا تذم وتمدح
وما كل حين يصدق المرء ظنه ... ولا كل اصحاب التجارة تربح
ولا كل من ترجو لغيبك حافظا ... ولا كل من ضم الوديعة يصلح

فينبغي ان يسترشد اخوان الصدق والذين هم اصفيا القلوب ومرآي
المحاسن والعيوب على ما ينبهونه عليه من مساويه التي صرفه حسن الظن
عنها فانهم امكن نظرا واسلم فكرا ويجعل ما ينبهونه عليه من مساويه محرضا صا
عن تصديق المدح وقد روي انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال المؤمن مرآة المؤمن اذا رأى فيه عيبا اصلحه وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يقول رحم الله امرءا اهدى الينا مساوينا وقيل لبعض الحكما اتحب ان تهدى

اليك عيوبك قال نعم من ناصح وبما يقارب هذا القول ما روي عن ابن عمر (صحيحا لك صح)
انه قال لابن عباس من ترى ان نولية حمص قال رجلا صحيحا لك قال فكن انت
ذلك الرجل قال لا ينبغي لي مع سوء ظني بك وسوء ظنك بي وقيل في
منثور الحكم من اظهر عيب نفسه فقد زكاها فاذا اقطع اسباب الكبر وحسم مواد
العجب اعتاض بالكبر تواضعا وبالعجب توددا وذلك من اسباب الكرامة واقوى (او كدم)
مواد النعم وابلغ شافعا الى القلوب يعطفها الى المحبة ويثنيها عن البغضة
وقد قال بعض الحكما من برئ من ثلاث نال ثلاثا من برئ من الشر نال العز
ومن برئ من البخل نال الشرف ومن برئ من الكبر نال الكرامة وقال مصعب
ابن الزبير التواضع مصايد الشرف وقيل في منثور الحكم من تواضع كثر
صديقه وقد تحدث المنازل والولايات لقوم اخلاقا مذمومة يظهرها سوء
طباعهم ولاخرين فضايل محمودة يبعث عليها زكي شيمهم لان لتقلب الاحوال
سكرة تظهر من الاخلاق مكنونها ومن السراير مخزونها لا سيما اذا هجمت بغير
تدريج وطرقت من غير تاهب وقد قال بعض الحكما في تقلب الاحوال
تعرف جواهر الرجال وقال الفضل بن سهل من كانت ولايته فوق قدره
تكبر لها ومن كانت ولايته دون قدره تواضع لها وقال بعض البلغا
الناس في الولاية رجلان رجل يجل عن العمل بفضله ومروته ورجل
يجل بالعمل لدناءته ونقصه فمن جل عن عمله ازداد به تواضعا وبشرا ومن جل
عنه عمله يلبس به تجبرا وكبرا

الفصل الثاني في حسن الخلق

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله اختار لكم الاسلام دينا فاكرموه
بحسن الخلق والسخا فانه لا يكمل الا بهما وقال الاحنف بن قيس الا اخبركم
بادوا الدا قالوا بلى قال الخلق الدني واللسان البذي وقال بعض الحكما من ساء
خلقه ضاق رزقه وعلة هذا القول ظاهرة وقال بعض البلغا الحسن الخلق

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)